مساحة خضراء

مقاهٍ لعبت دوراً ثقافياً وسياسياً متميزاً

فؤاد عبدالقادر

■ لعب المقهى دوراً ثقافياً وسياسياً .. هو مكان ليس فقط لشرب القهوة والمرطبات واستخدام الارجلية ..لكن أيضا المقهى مقر لتجمع الأصدقاء من نوعية المثقفين أو العوام من الناس .

العديد من المقاهي اشتهرت بها العديد من المدن العربية .. وإن كانت القاهرة قد ضربت الرقم القياسي في عددها الكبير واشتهار بعضها ..حازت على شهرة من خلال التسمية ..الجرافيش مقولة أو تعبير استخدمه الروائي الراحل الكبير في إبداعه نجيب محفوظ على أصدقائه المقربين من الأدباء والكتاب والفنانين كما ورد ذكر الحرافيش في أكثر من رواية ..بل إن محفوظ أطلق إحدى رواياته باسم الحرافيش وهم فقراء في تلك الأحياء الشعبية في تلك المقاهي يلتقي العديد من الأدباء في أيام محددة يوم في الأسبوع أو أيام محددة .

كانوا يكتبون في السياسة، في الآداب ..في الثقافة على وجه الخصوص ..كان يقرأ قاص قصته أو شاعر لقصيدته أو دراسة نقدية لرواية ما لقصيدة لمسرحية ما .

وهذه المقاهي شهدت نقاشات والتقى بها عدد كبير من الأدباء والشعراء والكتاب.

كان يجلس بها ..نزار قباني وعبدالوهاب البياتي ..ويوسف إدريس وفنانون كبارا مثل أحمد مظهر وأحمد عباس صالح وغيرهم، ونجيب محفوظ الذي كان يلتقي بهم كحرافيش مقربين يوم في الأسبوع.

في دمشق اشتهر مقهى هافانا بلقاء كبار أدباء سوريا، بل إن فكرة تأسيس حزب البعث شكلت من نفس المقهى في الأربعينيات.

أيضا لا ننسى مقاهي بيروت ..والدور الكبير الذي لعبته في الثورة الفلسطينية وتأسيس حركة القوميين العرب ولقاء طلاب الجامعة الأمريكية جورج حبش ..الحكيم وأحمد الخطيب وغسان كنفاني .. وآخرين من مؤسسي الحركة الثقافية .

الرواية في المتخيل السياسي والمتخيل الأدبي

(١)

لا يحدد حقل الدراسات الثقافية علاقة الرواية بالأمة في إطار النظرية الأدبية فقط، إنما يحددها أيضا في حقل الدراسات السياسية، ودراسات ما بعد الاستعمار، ومناهج الحقول اللسانية وأقسام قراءات موقع الإثنية، كما انه لا يعينها بوصفها الحامل السياسي للإشارات الاجتماعية، أو نظم الترميز الطبقية كما وردت بشكل بين عند باختين، أو التشكيلات السوسيوسياسية كما وردت في كتابت جوليا كريستفا المبكرة، لا سيما قراءتها للأعمال النثرية لدوسال، فقط، إنما يعينها بوصفها حاملاً للاستعارات القومية، فلم تعد الأمة سرداً مجرداً كما وردت في تعبير هومي بابا اللامع، بأن الأمة هي السرود التي تفقد أصولها في الأساطير القديمة، ولا تلتقي آفاقها إلا في الخيال (Bahbah ،١٩٩٠) إنما تقوم الأمة بعملية إنتاج سردي واسع عن طريق الرواية كجنس أدبي إطاري مشتمل على الاستعارات القومية، ولا يتجلى هذا الدور إلا من خلال قيام الرواية باحتواء، وتبني طقوس الجماعة وتبني ثقافتها وأزيائها، ومطبخها ورموزها، لتصبح جزءاً من الأجهزة السياسية الموجهة، ومن ثم تقوم بإعادة إنتاج مخزون الذاكرة الجماعية للوصول إلى خيال سياسي موحد للأمة.

علي بدر

وتجادل سونيو فوندريه وبالاعتماد على طاقم من الأدوات السياسية والثقافية كنصوص التوسير الماركسية، وكتابات جوليا كريستيفا السيميولوجية، ولا سيما في كتابها اللغة ذلك المجهول ونصوص فوكو الابستمولوجية، بأن هذه العلاقة لا تتم في إطار العلاقة بين الأدب والأمة فقط، إنما في إطارٍ الرواية في واقع الأمر كجنس أدبي أيضا، إذ يحدد بندكت اندرسون هذا الدور الإعجازي للمرويات والسرود الغربية في تكوين وبناء الأمة في مرحلة صعود الرأسمالية، ومرحلة نشأة الطبقات، وعصر التمايزات الكبرى، ودولنة الأسواق التجارية، فقد كانت هي الأداة الفعالة في تمثل (الجماعات المتخيلة).

كما أن الرواية من جانبها قد مكنت عبر شكلها على احتواء مفهوم الأمة من الناحية التقنية، فهي مكونة من عدد من الشخصيات التي تقوم بأدوار مختلة بدون أي رابط بينها، ومن دون أن تعرف هذه الشخصيات الواحدة الأخرى داخل العمل التخييلي، ومن ثم فإن القارئ الذي يتموضع في موقع من مواقع الجماعات المتخيلة – التعبير الذي أطلقه بندكت اندرسون على الأمم في نشأتها وتكونها– يقوم بعملية تزمين متواصلة للأحداث، أي أنه يرقب الأحداث على وفق تزامن بينها، هذا التزامن في واقع الأمر هو الذي يوصل انتماء كل الشخصيات المتخيلة إلى المشهد الاجتماعي الواقع في ذهن القارئ، وهكذا تصبح الأحداث في الرواية موازية للحياة الواقعية لهذه الجماعات، بل تؤدي الرواية إلى صقل خيال واحد و ذاكرة واحدة للأمة، حيث تعمل بتقنياتها المتعددة على إنتاج حدود صلبة بين النحن والآخرين، وعلى بناء هوية متماسكة، وترسيخ ثقافة خاصة عبر روايتها للأحداث وتسللها إلى وعي الأفراد.

(٢)

لقد تبنت حقول الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الاستعمار هذه العلاقة بالاعتماد على القراءات السوسيولسانية التي أطلقها باختين، وقراءات ثقافات الأقليات، والنظرية الأدبية وتحولاتها من ايرش اويرباخ وحتى ادوارد سعيد، وقد تطور هذا الحقل دون شك بعد أن ظهرت مجموعة من الدراسات في الثمانينات (أصبحت كلاسيكية هذه الأيام) مثل كتاب آرمسترونع الأمم قبل القومية، في عام ١٩٨٢م ويعد هذا الكتاب واحداً من أهم القراءات الثقافية لنشأة الأمة وكتاب الأمم والدولة لجون برولي والذي ظهر في العام ١٩٨٢م والقراءات النقدية النوعية التي دبجها اريك هوبزباوم في كتابه التحليلي المهم وكتاب آرنست غلنر (القومية والأمم) الذي صدر في العام ١٩٨٣م والذي حلل فيه طرق نشأة الأمم الأوروبية من الناحية السوسيولوجية والتاريخية، غير أن علاقة الأدب بالآليات الثقافية لعملية بناء الأمة ظهر واضحا وجليا في واقع الأمر لدى بندكت اندرسون في كتابه جماعات متخيلة الذي صدر في العام ١٩٨٣م أيضا، حيث يرد بأن الأدب يصنع بصورة متميزة الشعور بالانتماء ومفهوم المصير المشترك والهوية المطلوبة من أجل بناء الأمة.

(٣)

في الواقع لم تكن العلاقة بين الأدب بشكل عام وتشكل الأمة مجهولا تماما في حقول الدراسات الأدبية أو النقدية أو السياسية، غير أن الثورة التي نقلتها إلى مجال الدراسات الإنسانية المتعددة الاختصاصات هي الدراسات الثقافية الحديثة في الجامعات الأمريكية وتحوله إلى جزء أساسي من مناهج ودراسات وفروع ما بعد الاستعمار، لكنه كان معروفاً سواء على صعيد الدراسات الأدبية أو على صعيد الدراسات السياسية على نطاق واسع، فهناك قول شهير لالدوس هسكلي في تأكيد العلاقة بين الأمة والأدب بقوله إن اخترعها شعراؤها وروائيوها، وحتى جورج انطونيوس في كتابه الشهير(Arab Awakening) يصر على أن الأدب لعب دوراً كبيراً في نشأة مفهوم الأمة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ولهذه العلاقة جينالوجيا خاصة من وجهة نظري مع الأطر السياسية لما يطلق عليه بآليات تشكل الأمة، فالأمة ليست سرداً كما وردت في مقالة هومي باب الشهيرة فقط، أو شبيهة بالمرويات التي تفقد أصولها في مجموعة كبيرة من الأساطير القديمة التي تؤسسها، ولا يبقى من واقعيتها سوى الرومانسية المفرطة والمجاز غير المحدود، غير أنها تبرز، في واقع الأمر، في التقليد السياسي والأدبي على السواء بوصفها عمليات وسيرورات تاريخية متواصلة، ترتكز على فكرة الإكراه الثقافي، وعلى الضم والاحتواء وتتحول بسرعة هائلة عبر السرد إلى قوة رمزية تنتج على الدوام خطابات قومية.

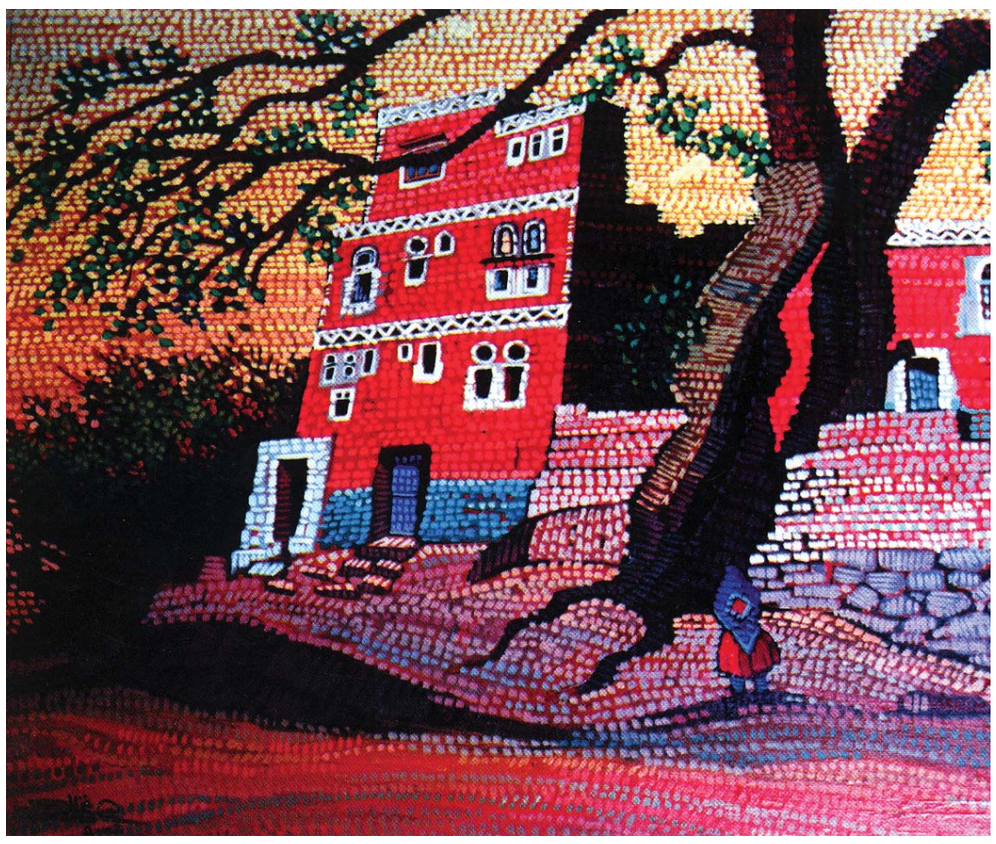

سوريالِيَّةُ الحركات

زياد السالمي

■ ما بين شدوك والقصيدة نجمةٌ لا أفقَ يبديها على أرضِ السعيدة أو ترى قلباً طروباً يستحقُ لأن تجازف بامتهار الغيم برقاً في جناح حنينه رعدٌ كريمٌ فاحتملْ ما شئت من نغمٍ وحاولِ أن يراكِ الحرف منتشياً تغنّي كلّه أو بعضَه كنْ في الغناء ملحّناً صعب الكلام وفي القصيدة كنْ من الشعراء أوّلهم على الأصغاء ؛ دندنْ ما تيسّرَ من جديد الماء وأكثرْ من تأمل رجعه ؛لا تلتفتْ مهما يواسيك السكون إلى الزوال فثمّ صوتك باسمٌ عند الختام ارقصَ على الأيقاع وانظرْ من غبار خطاك شعراً: كيف زاهيةً بسوريالِيّة الحركات تزدان السماء..؟ وكيفَ تحلم أن تكون صدى لفوضاها المدوزنِ عندها تعلمْ بأن الليل قربك خافتاً يروي سواد يدٍ تقطّرُ من تفاني أهله ملحاً على نهرِ البَكاء اصبغ المعنى على السلوى ومارسْ ما تشَاء من الخيال هدىً كأنك لم تكن للرمل عرّافاً ولا للكفّ سفّافاً ستكتب أنك الأنقى وتقرأ أنك الأشقى إذا ساعدت أشباح المنابر في السكوت على البقاء اثمل مع الكلمات والإيقاع لا تسمعْ من الأصوات غيرهما ؛ همَا الظلُّ /الملاذ من الفراغ ومن رواسب ما يصرُّ على التباهي

ما بين شدوك والقصيدة صدفةٌ صعدت إليها في ذهول الدأب وانبجست منازل من خلودٍ تستعيد صفاءها قبساً أضلّ توجُّس الميقات في عين المرايا واسترحتَ على يديها تنسبُ الأنثى إلى الأحلام لحناً لارتباك الإنتظار ترتّبُ الرؤيا خطىً لا يستلذُ عناقها إلا مداك.

فن الإلقاء بنادي القصة

■ ضمن برنامجه الثقافي للربع الثاني من عام ٢٠٠١١م يستضيف نادي القصة بصنعاء الأستاذ محمد الغرباني المدرب في مجال التنمية البشرية..

والذي سيتناول فن الإلقاء ومجالاته، وذلك بحضور مجموعة من كتاب القصة والرواية في الساعة الرابعة من عصر اليوم .

وتأتي هذه الفعالية لتبين مدى أهمية الإلقاء لكتاب القصة وخاصة عندما تتم قراءة النصوص القصصية في الفعاليات الثقافية المختلفة .

إصدارات ثقافية

«اللفياثان .. الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة»

■ أصدر مشروع «كلمة» التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً بعنوان: «اللفياثان .. الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة» للمؤلف توماس هوبز، وشارك في ترجمته كل من ديانا حرب وبشرى صعب في نقله إلى العربية.

واللفياثان كائن بحري خرافي له رأس تنين وجسد أفعى ويرد ذكره مرات عدة في الكتاب المقدس، أما هوبز فيستعمله ليصور سلطة الحاكم أو الدولة التي يستبدل بها الناس ضمن عقد اجتماعي جديد سلطة الدين أو اللاهوت.

إن كتاب «اللفياثان» الذي وضعه هوبز سنة ١٦٥١ من الكتب المؤسسة لنظرية الفلسفة وهو يبتكر أسطورة السلطة المطلقة، فيضع ركائز التقليد السياسي الحديث.. فقد قرر البشر استناداً إلى قدرتهم الخاصة على العزم والتفكير، أن يزودوا أنفسهم بقانون مشترك ومصطنع، وعندها لم يعد القانون يرتكز على الغيب، بل على العالم الإنساني.

بدأ مؤلف الكتاب توماس هوبز ١٥٨٨– ١٦٧٩ منذ صغره بدراسة اللغتين اللاتينية واليونانية في سن الست سنوات، وقام بترجمة «ميدي» لأوربيبدس إلى اللاتينية، تابع دراسته الجامعية وحصل سنة ١٦٠٨ على إجازة في الفنون. نشرمؤلفات حول علم النفس والفيزياء، خلال الثورة الإنكليزية، استقر في باريس سنة ١٦٤٠ حيث خالط الفلاسفة على غرار ديكارت.. تأثر بالحروب الدينية في فرنسا وإنكلترا فطوّر فلسفة جديدة وأصدر مؤلفات عدة حول عناصر القوانين الطبيعية الإنسانية وحول ركائز السياسة.

×ديانا حرب: حائزة على دبلوم دراسات عليا في تاريخ القانون من جامعة السوربون في فرنسا، قامت بترجمة وإعداد أعمال عديدة في مجالات حقوقية وأدبية وعلمية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية منها ترجمة كتاب «المئة يوم» لدومينيك دو فيلبان، وقاموس «المختصرات والعبارات اللاتينية القانونية».

×بشرى صعب: حائزة على شهادة العلوم الثانوية في العام ٢٠٠٣ ثم على إجازة في الفلسفة في العام ٢٠٠٧، وعلى الكفاءة في تعليم الفلسفة والحضارة، تجيد اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية، حائزة لمرتين متتاليتين في عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ على جائزة «أدباء الغد» عن روايتيها» سلام عليك (لن أعود)» باللغة العربية، و Papier Mache باللغة الفرنسية.

«قواعد المعاهدات الدولية في القانون الدولي العام»

■ صدر عن دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاب «قواعد المعاهدات الدولية في القانون الدولي العام» للدكتور مطر حامد النيادي.

ويمثل الكتاب دليلا للعاملين بالمعاهدات الدولية، حيث يتضمن شرحا مفصلا لمختلف جوانب المعاهدات بين الدول بأسلوب علمي وبسيط. ويشتمل على تسعة فصول تتناول التعريف بالمعاهدات ومراحل عقدها، وعقد المعاهدات في الدول الاتحادية، والتحفظ على المعاهدات وإجراءات نفاذها، كما ويتحدث الكتاب عن تفسير المعاهدات وتعديلها، وسبل إنهائها والأحوال المتعلقة ببطلانها.

وتعد المعاهدات أحد أهم وسائل التعامل بين الدول أو بين المنظمات الدولية أو بين الدول والمنظمات الدولية، إذ يتم بالمعاهدات توثيق وتنظيم مختلف العلاقات السياسية والقانونية والعسكرية والتجارية والقضائية وغير ذلك من العلاقات الدولية.

وعلى الرغم من أن معظم أحكام اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لسنة ١٩٦٩ تعكس ما استقر عليه العرف الدولي في هذا السياق، إلا أن ممارسات الدول وأحكام القضاء الدولي وعمل لجنة القانون الدولي وشروحات فقهاء القانون الدولي ساعدت كثيراً على توضيح كثير من المسائل العامة في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لسنة ١٩٦٩.

ويمثل الكتاب نتائج خبرة علمية وعملية توافرت للمؤلف خلال السنوات الماضية، وسعى من خلاله لتوضيح بعض القواعد القانونية والممارسات المعمول بها في الاتفاقية الدولية، مؤكدا أن الكتاب يعبر عن وجهة نظر المؤلف الشخصية فقط، ولا يعكس بالضرورة وجهة نظر أي جهة رسمية.

شوشة في الهلال

■ خصصت مجلة «الهلال» في عدد شهر يونيو ملفا خاصا عن الشاعر الكبير فاروق شوشة بعنوان «النبيل.. فاروق شوشة». افتتح العدد رئيس التحرير عادل عبدالصمد بمقال يحمل عنوان الملف ويشير فيه إلى أنه «يظل الشاعر النبيل فاروق شوشة صورة مشرقة للإبداع المصري والعربي، شاعرا، ولغويا، وإعلاميا، ومتذوقا للشعر وللفنون الجميلة، ومفكرا، له رؤيته الأدبية والفكرية والسياسية».

ويقدم الشاعر الدكتور محمد حماسة عبداللطيف تحية للشاعر فاروق شوشة في صورة قصيدة بعنوان «رب الشعر فاروق»، ويكتب عنه مقالا بعنوان «ملامح أساسية في إبداع فاروق شوشة» يؤكد فيه أنه «أحق الشعراء بالتكريم والاهتمام، لأنه شاعر نذر حياته للشعر، وللغة العربية التي رسخ لها هذا المصطلح، وأشاعه على الألسنة، فعمل عمله في الوجدان، وهو مصطلح «لغتنا الجميلة، وما زال على مدى عقود ستة من الزمان حتى وقتنا الراهن يبدع شعرا جميلا، ويعمل على إعلاء شأن هذه الشريفة كتابة وبثا إذاعيا في ثقة ويقين، وبعزم لا يعرف الكلال».

ويقدم الدكتور يوسف نوفل دراسة مطولة عن «فاروق شوشة.. ربيع الخريف.. سيرة ذاتية للشعر والشاعر»، ويحاول فيها أن يتناول السيرة الذاتية لفاروق شوشة من خلال ديوانه «ربيع خريف العمر».

ويتحدث الدكتور محمود الربيعي عن صديقه فاروق شوشة وعن العلاقات الشخصية بينهما، ويشير في مقاله إلى أن «شوشة ظاهرة شعرية» وأنه مسكون بالشعر وقادر على الإبداع بغزارة وتنوع.

ويتناول الدكتور السعيد محمد بدوي«حائط اليقين الذي أقامته لغتنا الجميلة»، ويكتب الدكتور أحمد درويش «وجوه في الذاكرة بين التحليق الشعري والرصد الواقعي»، ويقدم الدكتور السيد فضل «الشاعر يحكي ويقترب.. دراسة في وجوه فاروق شوشة الشعرية»، ويتناول الأديب أبو المعاطي أبو النجا «فاروق شوشة.. أسئلة قديمة ومؤجلة». ويكتب الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة مقالا بعنوان «فاروق شوشة وجه مشرق في الثقافة المصرية» يؤكد فيه أن حضور فاروق شوشة عبر خمسين عاما يتبدى في الثقافة المصرية والعربية متفردا بسمات وصفات ومواهب نادرة صنعت هذه الشخصية ذات الأبعاد المتكاملة.

ويتضمن العدد مقالات أخرى بخلاف الملف، منها مقال حلمي النمنم بعنوان «مفاجأة إمبابة» ود. عاطف العراقي «الإنسان في فكرنا العربي الحديث والمعاصر» والسيد الخولي «الدكتاتورية وأمراض الشيخوخة» ود. أبو همام عبداللطيف عبدالحليم «صورة الغرب لدى الأدباء المصريين» ود. خالد منصور «تحليل رواية في كل أسبوع يوم جمعة» ومصطفى نبيل «بنت الشاطئ بين ثقافتين».

عكاشة أسطورة الدراما..

■ صدر حديثًا كتاب »أسامة أنور عكاشة أسطورة الدراما العربية« عن سلسلة »كتاب اليوم« للكاتبة الصحفية حسنات الحكيم. يأتي الكتاب في الذكري الأولي لرحيل الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة.

حسنات الحكيم. لم تفتها الذكري بتلك المناسبة دون أن تنبش في أوراق عكاشة لتكشف لنا النقاب ولأول مرة عن معلومات وحقائق وحصر لجميع أعمال عكاشة، الذي أسعد الجميع بأعماله، فعلي نهج أسامة بلورت حسنات كتابًا يضم كل أعماله من البداية، دون أن تترك عملاً واحدًا في شكل درامي، يضم مشاهد متكاملة الفصول فالكتاب يعد فريدًا من نوعه ومرجعًا لكل الكتاب والمثقفين والباحثين.

يحكي الكتاب طفولة الكاتب الراحل وكيف استطاع أن ينقل أحلام البسطاء ويطرح العديد من القضايا ويعبر عنها من خلال أعماله الدرامية، كما يعرض لنا الكتاب الرسالة التي أرسلها ابنه المخرج هشام عكاشة لوالده بعد الثورة وعلاقة الفنانين والمخرجين والنقاد بعكاشة بالاضافة إلي الأصدقاء المقربين منه.